



كتاب « الله »

(تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد)

بقلم الأستاذ محمود عماد

حارات أكثر من مرة أن أكتب كلمة عن كتاب (الله) ولكنني ما كنت أم حتى أحجم . لأن عرض الكتابة لا يبدو تقديم المؤلف ، أو تقديم الكتاب . أما المؤلف فهو غنى عن التقديم لأنه (العقاد) ، وأما الكتاب فأني أرى كل تقديم له تأخيراً . إذ هو ليس من الكتب التي تلم بها الكلمة المأبرة ، ونضع منها أمام القارئ صورة مصغرة .

وإذا كانت كل أوراق مغلقة تسمى كتاباً ، فإن هذه الأوراق شيء أجل من كتاب . إنها حادثة من حوادث القلم التي لا تقع في عالم التأليف إلا في آحاد متباعدة .

ولو أن هذا الكتاب ظهر في بلاد غير مصر لكان له فيها دوى يزول آلام الكتب عن رفوفها . ولكنه ظهر في مصر فكان حسبه أن يبدله بين كل ألف ومكاناً واحداً ، وأن يكون هذا المكان هو أهدأ مسكنة المكتبة حركة ، حتى يأذن الله فيقيض له مترجماً يترجمه إلى لغة أجنبية . عند ذلك يحدث الدوى ، وتكون الرزلة . إذ يرى فيه العالم أول كتاب تقصى تاريخ العقيدة البشرية ، من عهد الطوطمية إلى عهد التوحيد ، مستهدياً بالعلم والفلسفة والألغام ، مذ طور الخلية حتى طور العقل

وهي رحلة طويلة شاقية إلا على قلم رجال متقصر كقلم العقاد الذي عقد في فناء كتابه مؤتمراً من فلاسفة الأمم ، شرقها وغربها ، قديمها وحديثها ، تبوأ فيهم العقاد مكان الصدارة ، وأخذ يناقش كل فيلسوف رأيه ، يناقش الخبير بكل رأى ، فيخذل هذا حتى لا يجد له من ناصر ، وينصر ذاك حتى لا يتصدى له خادل . ثم يخلص إلى رأيه الخاص ، يطالبك به واضحاً شرفاً

كالشمس تخلمت من السحب ، في عبارة غنية ، وحجة حاسمة ، ومنطق مستقيم . وهي صفات التفوق .

قلت إن كتاب (الله) لا يخلص ، ولكنه يقرأ . فليقرأه من يريد أن يعترف بالمبكرة الشرقية ، والبيان العربي . وما كتبت هذه الكلمة تقديمًا للكتاب ، ولكن لأجد بها فرجة في جو (الرسالة) الفسيح من شعور مكبوت يتألم منذ قرأته . بل هو يتألم كلما قرأت محضر ساعة من ساعات العقاد التي يجلسها بين كتبه . تلك الساعات الحافلة التي أقول فيها بحق :

عباس طرت إلى السماء ولست ذرات الضياء
ونفذت قبيل إلى طبا في الأرض من ييس وياه
لم تحتجب عنك الكنافة ، لا ولا دق الصفاء
أفأنت روح خالص أم أنت سر الكهرياء ؟
كلا ، فأنتك مثل هذا . الناس محدود البناء
يمررك ما يروهم من راحة أو من عناء
فيم اهتديت إلى الذي ضلوا واحصيت الخفاء ؟
هذا بأنك شاعر والشعر يرف ما يشاء
والشعر يبدو في النظير أو النثر على السواء
ساعاتك النر السوايح من نفاذ وامتلأه
جيم الزمان بها كما جلس الوليد القرفصاء
ونحدثت فيها الحياة بقدر لبس والتواء
أكبر بساعتك التي وسعت نواميس البقاء
في أي حجم صينغ (عمر بها) وفي أي استواء ؟
أترام فوق الأرض ركب أم على وجه السماء ؟
يا ليتني قيست به أعمارنا قبل الفناء
فإذا بها تفضو كأعمار النجوم على الفناء
محمود عماد

ظهر حديثاً كتاب

أحمد عرابي